



## التطورات في المنطقة واحتمالات التصعيد

استضاف المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق يوم الأربعاء الواقع في ٢٠١٠/٥/١٩ النائب العميد وليد سكرية والخبير في الشؤون العسكرية والجيو إستراتيجية رياض فهوجي في حلقة نقاش بعنوان: "التطورات في المنطقة واحتمالات التصعيد" شارك فيها عدد من السياسيين والباحثين والمختصين والأكاديميين ووجه إعلامية بارزة.

حاولت الحلقة الإجابة على أسئلة كثيرة تتعلق بأزمة الشرق الأوسط وبالأزمة النووية الإيرانية، حيث تتأرجح الاحتمالات بشأن هاتين الأزميتين بين مغامرات عسكرية على أكثر من جبهة وبين مخارج قد يفرضها تعدد اللاعبين على مسرح الأحداث. ما يلي هو موجز مُكثف لأبرز النقاط التي تم بحثها خلال الحلقة.

\* أخفقت الولايات المتحدة في لعب دور القطب الواحد لإدارة شؤون العالم، مما أتاح لقوى أخرى أن تتحرك نحو منطقة الشرق الأوسط والدخول من نافذة أزmate المتعددة لتأمين مصالحها الإستراتيجية . تمتلك روسيا أكبر جيش بري لكنها تفتقر للأحواض المائية، لذلك هي تسعى لتوسيع مجالها الحيوي عبر الدول المستقلة عن الاتحاد السوفياتي السابق نحو إيران وامتداداً نحو الشرق الأوسط (زيارة الرئيس الروسي ميد فيديف غير المسبوقة إلى سوريا) . أما المراد الصيني الصاعد اقتصادياً وعسكرياً، فهو في حاجة ماسة إلى مصادر الطاقة والموارد التي تتركز في الشرق الأوسط ومحيطه الأوسع، لذلك هو يسعى إلى تطوير قوته البحرية الإستراتيجية لتأمين الحماية لشبكة علاقاته ومصالحه في المنطقة مما شكل إزعاجاً وقلقاً للولايات المتحدة . كما تسعى الهند إلى تأمين مصالحها في المحيط الهندي امتداداً إلى الشرق الأوسط بسبب الحاجة الماسة إلى مصادر الطاقة . أما تركيا، فتتجه بوضوح نحو محيطها العربي والإسلامي بعد رفضها في المعادلة الأوروبية. كما لم يعد الحلف الأطلسي هدفاً بالنسبة لها وهي تتجه إلى شراكة مع روسيا حيث لم يعد القوقاز خط تماس بين الأخيرة والغرب متمثلاً بالحلف الأطلسي. يُضاف إلى كل هؤلاء أن أوروبا الموحدة تسعى بمعزل عن السطوة الأميركية لتأمين الممرات المائية التي تتحكم بعبور النفط.

\* لم يعد سؤال الحرب بسيطاً كما كان من قبل . فأين ستؤول مصالح الأطراف التي ذكرت سابقاً؟ وكيف سُحصى الأضرار الناتجة؟ من المزمك أن إسرائيل ستكون المستفيد الأول في حال وقوع الحرب، لكن دون ذلك تعقيدات كبيرة في اتخاذ القرار وفي آلية شن هذه الحرب، حيث نجد تضارباً في المصالح بهذا الخصوص بين إسرائيل والولايات المتحدة من جهة وبين الأخيرة وحلفائها من العرب من جهة ثانية (فلسطين، العراق، ...) . هناك تشوش إستراتيجي في هذا الشأن يصعب معه توقع ما يمكن أن يحدث خاصة في الفترة الزمنية البعيدة نسبياً.

### لكن قبل الخوض في احتمالي الحرب والملاحرب، تجب الإجابة على الأسئلة التالية:

١. هل تستطيع الولايات المتحدة أن تخوض حرباً رابعة (بالتزامن مع حروب العراق، أفغانستان، باكستان)؟
٢. هل تستطيع أن تخوض حرباً مع إيران مع بقاء قواتها في العراق؟
٣. هل تضمن طبيعة الرد الإيراني على ضربة عسكرية شاملة كانت أم محدودة؟
٤. ما هي السبل لمنع فتح الجبهة الشمالية على إسرائيل تزامناً؟
٥. هل تستطيع إسرائيل أن تنفرد بقرار الحرب ضد المشيئة الأميركية؟

إذا كان الجواب على هذه الأسئلة نفيًا، هل تستطيع الولايات المتحدة تحمل هذا الاستنزاف الحاصل إلى ما لا نهاية؟ أم هي سٌجبر على الاعتراف بالمحور الممانع الآخر وتُسعى لإنتاج تسويات على هذا الأساس؟

\* كان لحرب تموز ٢٠٠٦ تداعيات كبيرة ربما غيرت من قوانين الحروب التي كان يُعتقد أنها يمكن أن تُحسم من الجو (حرب كوسوفو). وقد أفرزت هذه الحرب المعطيات التالية:

- ليس هناك من نصر خاطف وسريع وحاسم يؤدي إلى فرض شروط سياسية.
- ليس هناك من معركة خاطفة تعيد المجتمع (الإسرائيلي) إلى دورة حياته الطبيعية بالسرعة المطلوبة.
- ليس هناك من احتلال للأراضي التي يمكن أن تتحول إلى مستنقع للاستنزاف.
- ليست إسرائيل قوة رادعة كالسابق خاصة مع انكشاف داخلها على الصواريخ وهذا سابقة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي.
- ليست المطارات الإسرائيلية بمأمن من ضربات صاروخية مما يؤدي إلى تحييد سلاحها الجوي المؤثر.

\* بعيداً عن تداعيات حرب تموز، وبعيداً عن قدرة إسرائيل في جر الولايات المتحدة إلى حرب ضد إيران، يمكن لإسرائيل أن تستفيد من اندلاع حرب إقليمية جديدة، بملاحظة النقاط التالية:

- نزع الصواريخ وخلق مناطق واسعة منزوعة السلاح وفرض قرارات جديدة في مجلس الأمن من خلال اجتياح لبنان وغزة.

- إعادة بناء مفهوم الردع الإسرائيلي.
- جر إيران إلى حرب إقليمية حيث تبدو الأخيرة في مواجهة مع إسرائيل والدول العربية معاً.
- إحياء التعاطف معها لدى الرأي العام في الغرب بعدما تراجع خلال حربي لبنان وغزة.
- تدمير قدرات إيران النووية وجعل هذا التدمير نموذجاً لأية دولة في المنطقة تسعى لامتلاك قدرات نووية.
- زيادة الأرباح في صناعاتها العسكرية.
- إيجاد نظام صديق ومتعاون في إيران.
- إيجاد فرصة لخلق وقائع جديدة على الأرض في فلسطين (استيطان، تهويد القدس، تهجير عرب ٤٨، ...).

\* نقل الأستاذ قهوجي عن مسؤول في الإدارة الأميركية أنه في حال حصول إيران على قدرات نووية عسكرية ستحصل فوراً هجرة واسعة من إسرائيل إلى الخارج . لذلك هناك قرار إستراتيجي بمنع إيران من الوصول إلى هذه القدرة مهما كان الثمن . وربما هنا يكمن لبّ أزمة إسرائيل وأميركا مع الملف النووي الإيراني . وهناك قرار حازم يمنع إيران من تجاوز الخط الأحمر لما يمثل ذلك من خطر وجودي على إسرائيل أو على دورها كقوة إقليمية كبرى في أحسن الأحوال.

لكن في حال تجاوزت إيران هذا الخط الأحمر، كيف هو السيناريو الذي سنخاض على أساسه الحرب؟ يبدو أن هذا السيناريو مرتبط بشكل عضوي في واقع الأرض على الساحة العراقية بما تحتويه من قوات وقواعد عسكرية أميركية.

\* يعتبر هنري كيسينجر أن احتلال العراق يجب أن يحقق هدفين : الأول تدمير هذا البلد الهام عسكرياً واقتصادياً والثاني عدم أحداث فراغ أمني هناك لأن من يملأه سيغير الجغرافية السياسية لكل المنطقة (دعوة لعدم الانسحاب الكامل). وفي شأن التواجد العسكري الأميركي في العراق، هناك احتمالان يؤثر كلاهما في سيناريو الحرب المفترضة على إيران:

١. إذا سحبت الولايات المتحدة كامل قواتها من العراق تكون قد نزعَت من إيران ورقة قوية، لكن في نفس الوقت أحدثت فراغاً أمنياً يمكن أن تملأه إيران بالمقابل.
٢. إذا أبقَت الولايات المتحدة على قواعد عسكرية حصينة في العراق، فإنها تحتاج فوق هؤلاء إلى نصف مليون جندي

(تعبئة) إذا أرادت شن الحرب على إيران، لأنها ستعتمد إلى عملية برية كبيرة على الضفة الإيرانية المطلّة على الخليج لضمان منابع النفط والممرات المائية هناك (سيحصل استنزاف كبير للقوات هناك). ويعتبر محللون عسكريون أن الولايات المتحدة ستدمر قدرات إيران الجوية والبحرية خلال أسبوعين، لكن تبقى الخشية قوية من الرد الإيراني بأسلحة دمار شامل وصواريخ وباستخدام أساليب حرب العصابات.

وعلى افتراض أن الولايات المتحدة ستدمر إيران بضربات إستراتيجية، فإن هذا قد يشعل المنطقة بكاملها من أفغانستان إلى فلسطين. وستكون السيطرة لمن يملك الأرض وليس الجو.

ويبقى سؤال أساسي، هل يمكن لإيران أن تطلق النار أولاً؟ تبدو الإجابة مرتبطة بتطور العقوبات وتأثيرها على الداخل الإيراني. ليست إيران دولة متهورة، لكن هذا الكلام يسقط لدى حشرها في زاوية ضيقة.

\* بغض النظر عن وقوع الحرب أو عدم وقوعها، تبقى التحضيرات العسكرية جارية على قدم وساق. ويلاحظ في هذا الشأن:

- تسريع العمل على نشر النظم المضادة للصواريخ في إسرائيل والخليج.

- زيادة الإنفاق على أنظمة الإنذار المبكر وعلى القطع البحرية.

- تواجد دائم لحاملتي طائرات في مياه الخليج.

- مناورات متلاحقة في إسرائيل تركز على الاستعدادات الداخلية والحرب الخاطفة.

- إجراء محاكاة لحروب مفترضة في كل من إسرائيل والولايات المتحدة وأوروبا.

- تصاعد حرب المعلومات والحرب النفسية.

- تزايد الضغوط على المجموعات الشيعية المرتبطة بإيران في الخليج.

- تزايد الحديث (سراً وعلناً) عن إمكانية استخدام رؤوس نووية تكتيكية ضد إيران.

في شأن هذه النقطة الأخيرة، يتصاعد الحديث مؤخراً أنه في حال وقعت الحرب على إيران قد تعتمد الولايات المتحدة أو إسرائيل إلى استخدام القنابل النووية التكتيكية إذا لمستا صموداً إيرانياً على الأرض، وذلك لحسم هذه الحرب بسرعة لأن الزمن لن يكون في صالح القوة الأميركية والإسرائيلية.

لكن في المقابل، تُراكم إيران وسوريا وقوى المقاومة قوة صاروخية تعادل من حيث القدرة التدميرية أي سلاح نووي تكتيكي يمكن أن يُستخدم، وذلك لكي يبقى توازن الرعب والردع قائماً...

\* ختاماً وعلى افتراض أن الحرب قادمة، هناك إجراءات يجب القيام بها لتحسين ظروف إشعال هذه الحرب، وتسعى إدارة الرئيس أوباما لإنضاج هذه الظروف بإتباع الخطوات التالية:

- بناء تحالف دولي واسع لدعم الحرب على إيران.

- استنفاد كل الطرق الدبلوماسية حتى الوصول إلى قرار ملزم في الأمم المتحدة.

- الحصول على دعم روسي وصيني أو تحييدهما.

- إنضاج الظروف لكي تبدأ إيران بالحرب.

- ضمان إبقاء سوريا خارج الحرب.

- محاولة الوصول إلى تسوية في قضية الشرق الأوسط قبل أو بعد التعامل مع إيران.

- وضع تصور أو إستراتيجية لإيران ما بعد الحرب، والعمل على عدم تضرر المعارضة الإيرانية.
- تحضير إجراءات مقابل التداعيات الاقتصادية التي يمكن أن تحصل في بداية الحرب، وتأمين طرق بديلة لخطوط نقل النفط (جدة، اليمن، ...).
- ويبدو أن الوقت الأمثل لشن هكذا حرب من من ظور السياسة الداخلية الأميركية وبلاستناد إلى تجارب سابقة هو السنة التي تسبق الانتخابات الرئاسية القادمة (نهاية عام ٢٠١١).